

434851 - هل كان النبي صلى الله عليه وسلم يتاجر في العبيد؟

السؤال

بالحديث الآتي كثير من غير المسلمين يجادلون أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتاجر بالعبيد، فمن أين حصل النبي صلى الله عليه وسلم على هؤلاء العبيد؟ ولماذا لم يطلق سراحهم؟ ولماذا استبدل عبدين أسودين بعد واحد؟

حدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى التَّمِيمِيُّ، وَابْنُ رُمْحٍ قَالَا أَخْبَرَنَا اللَّيْثُ، حَوَّدَدَتِنِيهِ قُتْبَيَةُ، بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا لَيْثٌ، عَنْ أَبِي الزَّبَّارِ، عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: "جَاءَ عَبْدٌ فَبَأْيَعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْهِجْرَةِ، وَلَمْ يَشْعُرْ أَنَّهُ عَبْدٌ فَجَاءَ سَيِّدُهُ يُرِيدُهُ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (بِعِنْيِهِ)، فَاشْتَرَاهُ بِعَدَدِيْنِ أَسْوَدَيْنِ، ثُمَّ لَمْ يُبَأِيْعَ أَحَدًا بَعْدَ حَتَّى يَسْأَلَهُ "أَعْبَدُ هُوَ".

الإجابة المفصلة

أولاً:

لم يصح مطلقاً أن النبي عليه الصلاة والسلام كان يتاجر في العبيد، ولم يرد هذا في أي حديث صحيح؛ وهذه فرية من جاهل بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم، جاهل بالتاريخ، جاهل بما تعني كلمة "يتاجر" في شيء ما؛ العبيد، أو غير العبيد!!

وأما الحديث المشار إليه في السؤال، فنصه، كما رواه مسلم (1602) وغيره، من حديث جابر رضي الله عنه:

"جَاءَ عَبْدٌ فَبَأْيَعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْهِجْرَةِ، وَلَمْ يَشْعُرْ أَنَّهُ عَبْدٌ فَجَاءَ سَيِّدُهُ يُرِيدُهُ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (بِعِنْيِهِ)، فَاشْتَرَاهُ بِعَدَدِيْنِ أَسْوَدَيْنِ، ثُمَّ لَمْ يُبَأِيْعَ أَحَدًا بَعْدَ حَتَّى يَسْأَلَهُ: أَعْبَدُ هُوَ؟".

فأين في هذا الحديث أو غيره أن النبي صلى الله عليه وسلم (كان يتاجر..)، بهذه الدعوى العريضة الكاذبة؟!

بل أين في هذا الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم اشتري هذا العبد من أصل أمره، أو تملكه، أو أسترقه؟

كل ما في هذا الحديث أن هذا الرجل جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم مهاجراً إلى المدينة، مبایعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم على أنه حر، مستقل بأمره، يهاجر حيثما شاء، ويبایع، كيما شاء.

قال القرطبي: "فيه دليل: على أن الأصل في الناس الحرية، ولذلك لم يسأله؛ إذ حمله على ذلك الأصل، حيث لم يظهر له ما يخرجه عن ذلك؛ ولو لم يكن الأمر كذلك، لتعين أن يسأله." انتهى، من "المفهم" (4/510).

وبناء على ما يظهر من "حرية الرجل": قبل النبي صلى الله عليه وسلم هجرته إليه، وإلى مدينته، وباياعه على الإسلام والهجرة، كما يبایع أحراز الرجال.

لكن، لم يلبيت أن جاء سيد هذا العبد، ومالكه الأصلي، وادعى أن هذا الرجل عبد، وليس حرا، وأنه ملك له. ودللت القرينة على صدق دعواه، ولم يكذبه العبد في ذلك.

ومعلوم أن العبد ليس له أن يترك سيده، ولا أن يأبقي منه، فضلاً عن أن يهاجر بالكلية، من غير إذن سيده، ورضاه.

فلما تبين استحقاق هذا الرجل لعبدته، وأن يده لم تزل من عليه، كره النبي صلى الله عليه وسلم أن ينقض بيعة الرجل له، أو يرده عن هجرته، بعد ما جاء راغباً؛ وإن كان قد أخطأ من أول الأمر، حيث لم يقتض خبره على الوجه التام. ولأجل ذلك، افتداه النبي صلى الله عليه وسلم من مالكه، واسترضاه بعبيدين، بدلاً من عبد واحد!!

قال القرطبي: "هذا إنما فعله النبي صلى الله عليه وسلم على مقتضى مكارم أخلاقه، ورغبة في تحصيل ثواب العتق، وكراهيته أن يفسخ له عقد الهجرة. فحصل له العتق، وثبت له الولاء. فهذا المعتق مولى للنبي صلى الله عليه وسلم غير أنه لا يعرف اسمه". انتهى، من "المفهم" (4/511).

وقال النووي: "وفي ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم من مكارم الأخلاق، والإحسان العام، فإنه كره أن يرد ذلك العبد خائباً بما قدسه من الهجرة وملازمة الصحابة؛ فاشترأه، ليتم له ما أراد". انتهى، من "شرح مسلم" (11/39).

وقال ابن رسلان: "وهذا العبد إنما أشتراه النبي - صلى الله عليه وسلم - بعبيدين؛ رغبة في تحصيل ثواب العتق، وكراهيته أن يفسخ له عقد الهجرة؛ فحصل له العتق وثبت له الولاء فهذا مولى النبي - صلى الله عليه وسلم -. قال القرطبي: لم يعرف اسمه". انتهى، من "شرح سنن أبي داود" (14/87).

وصارت تلك المكرمة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمناً لحرية الرجل، لا ثمناً لانتقال رقه إلى شخص آخر، لا النبي صلى الله عليه وسلم، ولا غيره؛ ولم يذكر أحد من أهل السير هذا العبد الذي افتداه رسول الله صلى الله عليه وسلم، على أنه عبد رقيق، ولا أنه حتى من موالي رسول الله صلى الله عليه وسلم !!

والظاهر من القصة أن مالك هذا العبد، وسديده: كان مسلماً؛ وإلا، فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يرد العبيد المسلمين، إذا خرجوا من ملك الكفار، وهاجروا إليه.

يقول ابن القيم: "وكان هديه صلى الله عليه وسلم عتق عبيد المشركين إذا خرجموا إلى المسلمين، وأسلموا، ويقول: (هُمْ عُتَقَاءُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ) أخرجه أبو داود (2700)" انتهى، من "زاد المعاد" (3/136).

فأين ذلك كله من جهل الجاهلين، وكذب الكاذبين؟!

وقد صدق القائل، أبو عبادة البختري:

إذا محسني اللاتي أدلُّ بها * عُدْثُ ذنوباً فقل لي كيف أعتذر

وللفائدة ينظر جواب السؤال رقم : (94840)، ورقم (327722)، ورقم: (326235).

والله أعلم.